فاذا قدر الاستغنا عنه كان صرف الهمم الي علاج القلوب وحفظ صحتها ودفع اسقامها وحميتها بكسر الحا منعها مما يفسدها هو المقصود باصلاح الجسد ويجوز كما يفهم من هذا الكلام انه قسيم لمقدر اي فاما طب القلوب واصلاحها فهو المقصود من شرعه واما طب الاجساد الخ وبهذا جزم في الشرح وجوز الاول في تقريره واصلاح الجسد بدون اصلاح القلب لا ينفع بل قد يضر وفساد البدن مع اصلاح القلب مضرته يسيرة جدا لانه انما يترتب عليها فوات غرض دنيوي لا يوثر خلل في الدين وهي مضرة زايلة مصدر بمعني المصدر اي الضرر تعقبها المنفعة الدايمة التامة بالخلود في جنات النعيم فاذا علمت هذا فاعلم ان ضرر الذنوب في القلوب كضرر السموم في الابدان علي اختلاف درجاتها اي انواعها في الضرر وهل في الدنيا والاخرة شر وداء الفتح والمد مرض الا وسببه الذنوب والمعاصي بمعني الذنوب فحسن العطف اختلاف اللفظ فكل المعاصي من الاثار القبيحة المذمومة والمضرة الضرر بالقلب والبدن في الدنيا والاخرة ما لا يعلمه الا الله فمنها حرمان العلم اي ان المعاصي سببه في حصول ذلك وفايدته بالعبد فان العلم نور يقذفه الله في القلب وفايدته امتثال الاوامر واجتناب النواهي والمعصية تطفي ذلك النور فيكون اما سببا لحرمانه بحيث لا يدرك شيا منه واما سببا لعدم ترتب فايدته عليه بل قد يكون علمه الذي حصله ضررا عليه في الدارين وللامام الشافعي

شكوت الي وكيع سو حفظي ... فارشدني الي ترك المعاصي
وقال اعلم بان العلم نور ... ونور الله لا يوتاه عاصي

وذكر ابن القيم لما جلس الشافعي بين يدي مالك وقرا عليه اعجبه ما راي من وفور فطنته وتوقد ذكايه وكمال فهمه فقال اني اري الله قد القي علي قلبك نورا فلا تطفيه بالمعصية ومنها حرمان الرزق الحلال او البركة فيه ففي المسند لاحمد والظاهر ان المراد الحديث المسند اي المرفوع لقول مغلطاي اذا كان الحديث في احد الستة لا يجوز للمحدث نقله من غيرها انتهي وهذا الحديث اخرجه النسايي وابن ماجه واحمد وابو يعلي وابن منيع والطبراني والضيا في المختارة والعسكري عن ابن عباس ان النبي صلي الله عليه وسلم قال ان الله عايد ا لقضا وان البر يزيد في العمر وان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه

ثم

ثم قرا رسول الله صلي الله عليه وسلم انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون ويروي عن ابن مسعود رفعه ان الرجل ليذنب الذنب فيحرم به النبي من الرزق وقد كان هيي له وانه ليذنب الذنب فينسي به الباب من العلم فقد كان علمه وانه ليذنب فيمنع به قيام الليل وفي هذا المعني احاديث كثيرة ويعارض ما اخرجه الطبراني عن ابي سعيد رفعه ان الرزق لا تنقصه المعصية ولا تزيده الحسنة وترك الدعا معصية وعند العسكري بسند ضعيف عن ابن مسعود رفعه ليس احد باكسب من احد قد كتب الله النصيب والاجل وقسم المعيشة والعمل والرزق فهو مقسوم وهو ان علي ابن ادم عرا اي سبره سارها ليس تقوى تقي بزايده ولا فجور فاجر بناقصه وبينه وبينه ستر وهو في طلبه وعند ابن ابي الدنيا وغيره مرفوعا ان الرزق ليطلب العبد كما يطلبه اجله وفي ذا المعني احاديث ويمكن الجمع بينهما كما اشرنا اليه بان الذي يحرمه الرزق الحلال او البركة فيه او صرفه في وجوه الخير ونحو ذلك فلا معارضة واسلفت في مراتب الوحي شيا من ذلك ومنها وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله تعالي لا يوازنها اي يقابلها ويقال وازاه موازاة اي حاذاه ولا يقارنها بالنون اي لا يجتمع معها لذة اصلا بالعبادات وان فعلها قال وهيب ابن الورد لمن ساله ايجد طعم العبادة من عصي الله سبحانه فقال لا ولا من هم بالمعصية ومنها تعسير اموره عليه فلا يتوجه لامر الا يجده مغلقا دونه بحيث لا يصل اليه بوجه او متعسرا عليه بحيث يناله تعب في الوصول اليه ومنها ظلمة يجدها في قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم الاسود اذا ادلهم اي اشتد سواده وكثفت ظلمته وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته حتي يقع في البدع الامور القبيحة المخالفة للشرع وان اطلقت البدع علي غير القبيح فليس المراد هنا كما هو بين والضلالات والامور المهلكة وهو لا يشعر وتقوي هذه الظلمة حتي تعلو الوجه وتصير سوادا فيه يراه كل احد بحاسة البصر وانه يوهن القلب والبدن يضعفهما ومنها حرمان الطاعة وتقصير العمر ومحق البركة واجاب عن سوال هو ان الاجل مكتوب فكيف يتاتي نقصه او زيادته بقوله ولا يمتنع زيادة العمر باسباب كما ينقص باسباب باعتبار ما في صحف

Copyright © King Saud University